

في شرح حديث "الغزو غزوان"

للشيخ عبد المجيد حمود عامر

(أبي البراء الإبي)

بيت المقدس



1443 هـ 2021 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

التبيان

في شرح حديث

الغزو غزوان

للشيخ عبد المجيد حمود عامر

(أبي البراء الإبي رحمه الله)



بيت المقدس

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قـال رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم: " الغـزو غـزوان فأمـا مـن ابتغـى وجه الله وأطاع الإمام وأنفـق الكريمـة، وياسـر الشـريك واجتنب الفساد فإن نومه وتنبهه أجر كله وأما مـن غـزا فخرا ورياء وسمعة وعصى الإمام وأفسد في الأرض فإنه لن يرجع بالكفاف " .

(رواه أبو داود والنسائي وحسنه الألباني)

الفهرس

التعريف بالصحابي معاذ بن جبل رضي الله عنه 7
قوله ﷺ (الغزو غزوان) 9
قوله ﷺ (فأما من ابتغى وجه الله) 10
وأطاع الإمام 16
وأنفق الكريمة 26
الجود بالنفس 30
وياسر الشريك 37
واجتنب الفساد 40
فإن نومه وتنبهه أجر كله 42
وأما من غزا فخرا ورياء وسمعة 44
احذر الرياء 48
أقسام الرياء 52
وعصى الإمام 57
وأفسد في الأرض 63
فإنه لن يرجع بالكفاف 73

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فهدى به من الضلالة، وبصر به من العمى، وأرشد به من الغي، وفتح به أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد :

فإن من أوجب الواجبات الاعتناء بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراسته والعمل به، فهو بعد القرآن الكريم أساس كل فلاح وشرط كل نجاح.

وهذا هو منهج أهل السنة الذين قال ابن القيم واصفاً لهم في مفتاح دار السعادة :

"فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، ومن ضال جاهل لا يعلم طريق رشده قد هدوه، ومن مبتدع في دين الله بشهب الحق قد رموه جهاداً في الله، وابتغاء مرضاته".

وقال في نونيته :

هذا ونصر الدين فرض لازم   لا للكفاية بل على الأعيان

بيد وإما باللسان فإن عجز   ت فبالتوجه والدعا بجنان

والعلم بسنة النبي ﷺ أشرف العلوم بعد العلم بكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإنما يشرف العلم بشرف موضوعه، وكفى بأحاديث الجهاد شرفاً، فهذا هو العلم

المقصود والمطلوب تعلمه؛ لاسيما في هذا الزمان الذي صار الجهاد إرهاباً والعياذ بالله .

وإذا كانت الأمة في كل عصورها مأمورة بتدبر الكتاب والسنة والعمل بهما فنحن اليوم أحوج ما نكون إلى ذلك الأمر؛ ذلك أننا نعيش في عصر غلبت فيه الفتن وعم فيه الفساد، وتجرأ على شرع الله المبطلون، وعبث به العابثون، وتطاول الطواغيت، واستبد الطغاة، وأنشب الكفر بمخالبه في أعماق هذا الدين يمزق أمعاءه، ويقطع أشلاءه، وقد قرأت حديث معاذ بن جبل ﷺ وهو من أحاديث الجهاد العظيمة فأحببت أن أقف معه وقفات لعل فيه عظة لي وللقاري.

فأسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علمنا، وأن يجعله حجةً لنا يوم القيامة لا علينا، وأن يجعلنا من الصادقين، وأن يختم لنا ولكم بالشهادة في سبيله إنه سميع قريب ، وبالإجابة جدير .

****

التعريف بالصحابي معاذ بن جبل رضي الله عنه

هو معاذ بن جبل ابن عمرو بن أوس الخزرجي.

شهد العقبة وهو شاب أمرد ، قال عطاء: أسلم معاذ وله ثمان عشرة سنة.

قال أبو نعيم الحافظ : معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي شهد العقبة وبدرا والمشاهد إمام الفقهاء وكبير العلماء بعثه النبي صلى الله عليه و سلم عاملا على اليمن وقال : " نعم الرجل معاذ " بعثه ليجبره من دينه يكنى أبا عبد الرحمن أسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة وتوفي وهو ابن ثمان وثلاثين وقيل : ثلاث وثلاثين وقيل : أربع وثلاثين كان ابن مسعود يسميه الأمة القانت كان من أفضل شباب الأنصار حلما وحياء وبذلا وسخاء وضيء الوجه أكحل العينين براق الثنايا جميلا وسيما أردفه النبي صلى الله عليه و سلم وراءه فكان رديفه وشيعه النبي صلى الله عليه و سلم ماشيا في مخرجه إلى اليمن وهو راكب وتوفي النبي صلى الله عليه و سلم وهو عامله على اليمن مات شهيدا بالشام في طاعون عمواس لم يعقب .

عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: " خذوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وأبي، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة " متفق عليه.

عن أنس مرفوعا: " أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدها في دين الله عمر، وأصدقها حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ، وأفرضهم زيد، ولكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة " رواه الترمذي

وعن مُحَمَّد بن كعب القرظي قال : قال رسول الله – ﷺ – : "معاذ بن جبل إمام العلماء برتوة" . رواه الطبراني وصححه الألباني .

والرتوة: رمية سهم، وقيل: مد البصر.

****

قوله ﷺ (الغزو غزوان)

الْغَـزْوُ مَعْنَـاهُ الطَّلَـبُ ، يُقَـال: مَـا مَغْـزَاكَ مِـنْ هَـذَا الأَمْـرِ أَيْ مَـا مَطْلَبُـكَ، وَسُمِّـيَ الْغَـازِي، غَازِيًا لِطَلَبِهِ الْغَزْوَ.

******

قوله ﷺ (فأما من ابتغى وجه الله)

الإخلاص عمل قلبي لابد منه فالإخلاص هو أساس النجاح والظفر بالمطلوب في الدنيا والآخرة، فهو للعمل بمنزلة القواعد للبنيان، وبمنزلة الروح للجسد، وبمنزلة الماء للسمكة ، فكما أنه لا يستقر البناء ولا يتمكّن من الانتفاع منه إلا بتقوية أساسه وتعاهده من أن يعتريه خلل فكذلك العمل بدون الإخلاص وكما قال ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد : " ومن تأمل الشريعة ؛ في مصادرها ومواردها ، عَلِمَ ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب ، وأنها لا تنفع بدونها ، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح ، وهل يميّز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحدٍ من الأعمال التي ميزت بينهما ؟ وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدم ، فهي واجبة في كل وقت " أ هـ .

قال سهل بن عبد الله التستري في تعريف الإخلاص : نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا: أن تكون حركاته وسكناته في سره وعلانيته لله تعالى وحده، لا يمازجه شيء لا هوى ولا نفس، ولا دنيا .

قال ابن الجوزي في تلبيس إبليس : "قد لبس إبليس على خلق كثير فخرجوا إلى الجهاد ونيتهم المباهاة والرياء ليقال فلان غاز وربما كان المقصود أن يقال شجاع أو كان طلب الغنيمة وإنما الأعمال بالنيات " أ هـ .

وفي حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته

إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه). متفق عليه

وعن الفضيل بن عياض أنه تلا قوله تعالى {ليبلوكم أيكم أحسن عملاً} .

فقال: " أخلصه وأصوبه، قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إذا كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً وصواباً " .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " ومما اتفق عليه أهل العلم جميعاً أن العبادة تقوم على أصلين لا تتحقق بدونهما:

الأول: إفراد الله بالعبادة وإخلاصها له تعالى دون رياء أو مباهاة.

الثاني: موافقة العبادة للسنة والإتيان بها على الهيئة التي شرعها الله عليها لا بغير ذلك من الأهواء والبدع " أ هـ.

وبالنية يؤجر الإنسان على النية وإن لم يعمل.

كما في حديث أبي كبشة الأنماري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه فأما الذي أقسم عليهن فإنه ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله بها عزا ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر وأما الذي أحدثكم فاحفظوه " فقال : " إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل رحمه ويعمل لله فيه بحقه فهذا بأفضل المنازل . وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية ويقول : لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فأجرهما سواء . وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يتخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل

فيه رحمه ولا يعمل فيه بحق فهذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول : لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو نيته ووزرهما سواء ". رواه الترمذي وقال : هذا حديث صحيح وصححه الألباني.

وفي حديث جابر بن عبدالله ﷺ قال : قال النبي ﷺ : (إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم).

قالوا : يا رسول الله وهم بالمدينة ؟!قال : وهم بالمدينة حبسهم العذر) رواه البخاري. وفي رواية مسلم (إلا شركوكم في الأجر).

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله : "النية المجردة عن العمل يثاب عليها والعمل المجرد في النية لا يثاب عليه ومن نوى الخير وعمل منه مقدوره وعجز عن إكماله كان له أجر عامل " أ هـ.

أحياناً يكون العمل يسيراً ولكن المرء يؤجر أجراً عظيماً بسبب النية والإخلاص.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة : " والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله ، فيغفر الله به كبائر كما في حديث البطاقة ، فهذا حال من قالها بإخلاص وصدق كما قالها هذا الشخص... ثم ذكر ابن تيمية حديث البغي التي سقت كلباً فغفر الله لها ، والرجل الذي أماط الأذى عن الطريق فغفر الله له ثم قال : " فهذه سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغفر لها ، وإلا فليس كل بغي سقت كلباً يغفر لها .. فالأعمال تتفاضل بحسب ما في القلوب من الإيمان والإجلال " .

أيها المجاهد ينبغي أن يكون لك خبيئة عمل .

فقال رسول الله ﷺ : "من استطاع منكم أن تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل " .

كما في الأثر: " الكيس من كانت له عند الله خبيئة سر ".

عن الخريبي رحمه الله قال :" كانوا يستحبون أن يكون للرجل خبيئة من عمل صالح لا تعلم به زوجته ولا غيرها ".

بعض سير المخلصين :

1) أعرابي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم وقال له أهاجر معك، فغنموا بعد خيبر وقسم للأعرابي وأصحابه وكان يرعى دوابهم فلما جاءوه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي وصلني؟ ما على هذا اتبعتك ولكن اتبعتك على أن أرمى إلى هاهنا بسهم فأموت فأدخل الجنة. قال صلى الله عليه وسلم : (إن تصدق الله يصدقك)، فلبثوا قليلاً وهاجموا العدو وأثاب الله الأعرابي كما طلب فقيل أهو هو قال صلى الله عليه وسلم : (صدق الله فصدقه) فكُفِّن في جبة النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدمه فصلى عليه فكان فيما ظهر من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة (اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك وقتل شهيداً أنا شهيد على ذلك).

1) التقى سفيان الثوري وفضيل بن عياض فتذاكرا ، فقال سفيان: إني لأرجوا أن يكون مجلسنا هذا أعظم مجلسٍ جلسناه بركةً.

قال فضيل: ترجوا، لكني أخاف أن يكون أعظم مجلس جلسناه علينا شؤماً، أليس نظرت إلى أحسن ما عندك فتزينت به لي، وتزينت لك به، فعبدتني وعبدتك ؛قال فبكى سفيان حتى علا نحيبه، ثم قال: أحياك الله كما أحييتني.

2) عن عبده بن سليمان قال : " كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم فصادمنا العدو فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله ثم آخر فقتله ثم آخر وطعنه فقتله ثم آخر فقتله ثم دعا إلى البراز فخرج إليه رجل ، فطارده ساعة فطعنه الرجل فقتله فازدحم الناس عليه فكنت فيمن ازدحم عليه فإذا هو ملثم وجهه بكمه فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو عبدا لله بن المبارك؟ فقال " وأنت يا أبا عمر ممن يشنع علينا ؟!" .

قال الإمام ابن لجوزي : " فانظروا رحمكم الله إلى هذا السيد المخلص كيف خاف على إخلاصه برؤية الناس له ومدحهم له فستر نفسه " .

ولذا قال الإمام أحمد بن حنبل : ما رفع الله ابن المبارك إلا بخبيئة كانت له .

3) يقول حماد بن زيد رحمه الله : كان أيوب ربما حدث في الحديث فيرقّ وتدمع عيناه، فيلتفت و ينتخط ويقول ما أشد الزكام!!، فيظهر الزكام لإخفاء البكاء

4) قال الحسن البصري رحمه الله : " إن كان الرجل ليجلس المجلس فتجيئه عبرته فيردها فإذا خشي أن تسبقه قام وذهب وبكى في الخارج ".

5) يقول مُحَّد بن واسع التابعي:" إن كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته لا تعلم".

6) علي بن الحسن كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع به المساكين بالظلمة ، فالصدقة تطفيء غضب الرب، وكان أهل بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم ، فلما مات عرفوا، و رأوا على ظهره آثاراً مما كان ينقله من القرب والجرب بالليل فكان يعول 100 بيت .

7) قال أبو حازم: اكتم حسناتِك أشد مما تكتم سيئاتك.

❋❋❋❋❋❋❋

وأطاع الإمام

وجود الأمير من الضرورة بمكان.

قال الشيخ عبدالله عزام تقبله الله : " إن الجهاد عبادة جماعية وكل جماعة لا بد لها من أمير وطاعة الأمير في الجهاد من الضرورات، فلا بد من تعويد النفس على التزام طاعة الأمير (عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك " أ هـ .

وقال أيضاً : " ولذلك الأمر يجب أن يكون واضحاً في ذهنك لأن الجهاد عبادة جماعية لا يمكن أن تتم إلا بأمير وبجنود مجاهدين، ولا يمكن أن تكون جماعة بدون إمارة، وبدون طاعة، وبدون تنفيذ أوامر، لا إسلام بلا جماعة ولا جماعة بلا أمير ولا أمير بلا طاعة كما روي عن سيدنا عمر رضي الله عنه : "لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا" ولا يمكن أن يستريح أحد إلا إذا كان الجميع يطيعون الأمير، وإذا كان يسبق نظام على المكان وإلا يصبح الأمر فوضى ولا يستقر أحد، بل لا تستطيعون أن تؤدوا عباداتكم ما لم يكن هنالك إمارة وهيبة للأمير وطاعة من قبل المجاهدين، فلا بد من طاعة الأمير، إن قال أطفئوا الأنوار الساعة التاسعة فمعنى ذلك لا أنوار بعد التاسعة، لا تنيروا الأنوار في الكاشفات في داخل المعسكر معناه يحرم عليك أن تنير الكشاف في داخل المعسكر، يقول عقوبة عليك أن تحرس ساعتين في هذه الليلة تنفيذه فرض وعصيانه إثم وحرام، فإن نفذته فأنت مثاب من الله عز وجل لأنك تنفذ أمر الأمير، وإن عصيته فأنت آثم إن شاء ربك عاقبك وإن شاء غفر لك، لأن الأمر للوجوب، والواجب ما يثاب فاعله ويأثم تاركه، وهذه القضية يجب أن تكون واضحة تماماً على أنك لو تركت السنن

وتركت صيام النافلة وتركت صلاة الضحى بل لو تركت سنة الظهر وسنة المغرب وما إلى ذلك هذه لا تساوي ثواب طاعة الأمير، ولو عصيت الأمير تكون آثما إثماً لا ينالك إذا تركت السنن والنوافل (وما تقرب إليّ عبدي بمثل ما افترضته عليه) وطاعة الأمير فرض بنص الكتاب وبنص السنة، فانتبهوا، في أي مكان في الجبهة، هنا في صدا، في جاجي ما إلى ذلك أميرك يجب طاعته، كان الصحابة رضوان الله عليهم يخشون كثيراً أن يعصوا الأمير الصحابة رضوان الله عليهم " أ هـ.

قال القادري : " ومن طاعة الأمير عدم الخروج من معسكر المجاهدين بدون إذنه، لما في ذلك من عدم الالتزام بطاعته من جهة، ولما فيه من المحاذير التي قد يلحق ضررها بالجنود الذين لم يستأذنوا، وبالجيش الإسلامي كذلك.

فقد يقع الجندي المسلم في كمين من مقاتلي العدو، فيقتلونه أو يأسرونه، وقد يعذبونه حتى يدلهم على مواقع الجيش الإسلامي، وعددهم، وما عندهم من قوة أو ضعف في العتاد، وفي ذلك ما فيه من ضرر على الجندي الذي خرج بدون استئذان وعلى أمته.

وليس الأمر كذلك إذا خرج بإذن من قائده، فإن القائد سينصحه بما يجب عليه عمله ، وقد يأمر بأن يصحبه من يحميه من كمائن العدو، وغير ذلك من الأمور الاحتياطية التي ل تتوافر للفرد وحده.

ولهذا كان من أهم صفات المؤمن الدالة على قوة إيمانه، عدم ذهابه بدون إذن أميره، في الأحوال التي تستدعي ذلك، كما قال سبحانه: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله، فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم إن الله غفور رحيم) [النور 62].

فقد حصر الله تعالى في هذه الآية الكريمة في مطلعها المؤمنين فيمن اتصفوا بالإيمان به وبرسوله، وبعدم الذهاب بدون إذنه إذا كانوا معه على أمر جامع، كما جعل الاستئذان في وسط الآية من علامة الإيمان به وبرسوله، وجعل تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم مخيرا في آخر الآية في الإذن لمن شاء، مع الاستغفار لمن أذن له، لما في استئذانه من تركٍ للشأن العام الذي تعود مصلحته لعامة المسلمين، بخلاف شأنه الخاص، مهما كانت أهميته " أ هـ .

وفي مختصر الخرقي: " وإذا غزا الأمير لم يجز أن يتعلف ولا يحتطب، ولا يبارز علجا، ولا يخرج من المعسكر، ولا يحدث حدثا، إلا بإذنه".

وقال ابن قدامة معلقا على هذه الجملة في المغني : " يعني لا يخرج من المعسكر... إلا بإذن الأمير، لقوله تعالى: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) ولأن الأمير أعرف بحال الناس، وحال العدو ومكامنهم ومواضعهم وقربهم وبعدهم، فإذا خرج خارج بغير إذنه، لم يأمن أن يصادف كمينا للعدو فيأخذه، أو طليعة لهم، أو يرحل الأمير بالمسلمين ويتركه فيهلك، وإذا كان الأمير لم يأذن لهم إلا إلى مكان آمن، وربما يبعث معهم من الجيش من يحرسهم ويطلع لهم... " أ هـ .

قلت: وقد يعاقب الله تعالى من يخرج من جيش المسلمين، بدون إذن الأمير، بما لا يدور في ذهنه من أنواع العقاب العاجلة، مع الإثم الذي سيلقى جزاءه في الآخرة.

وتأمل هذه القصة الثابتة من حديث ابي حميد، رضي الله عنه، قال: " خرجنا مع رسول الله صلى الله علليه وسلم في غزوة تبوك – إلى أن قال – وانطلقنا حتى بلغنا تبوك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ستهب عليكم الليلة ريح شديدة،

فلا يقم فيها أحد منكم، فمن كان له بعير فليشد عقاله) فهبت ريح شديدة، فقام رجل، فحملته الريح حتى ألقته بجبل طيئ... " رواه مسلم.

قال النووي رحمه الله: " هذا الحديث فيه هذه المعجزة الظاهرة من إخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيب وخوف الضرر من القيام وقت الريح، وفيه ماكان عليه صلى الله عليه وسلم من الشفقة على أمته والرحمة لهم، والاعتناء بمصالحهم، وتحذيرهم ما يضرهم في دين أو دنيا " أ هـ.

ضابط الطاعة

قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره : "لصحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لله طاعةً، وللمسلمين مصلحة ".

وفي قوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: 58- 59].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله في السياسة الشرعية : " قال العلماء نزلت الآية الأولى في ولاة الأمور عليهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل ونزلت الثانية في الرعية من الجيوش وغيرهم عليهم أن يطيعوا أولي الأمر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك إلا أن يأمروا بمعصية الله فإن أمروا بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فإن تنازعوا في

شيء ردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه و سلم وإن لم تفعل ولاة الأمر ذلك أطيعوا فيما يأمرون به من طاعة الله لأن ذلك من طاعة الله ورسوله وأديت حقوقهم إليهم كما أمر الله ورسوله { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ } ".

قال أبو السعود رحمه الله في تفسيره : " وهم أمراءُ الحقِّ وولاةُ العدلِ كالخلفاء الراشدين ومَنْ يقتدي بهم من المهتدين ، وأما أمراءُ الجَوْرِ فبمعزل من استحقاق العطفِ على الله تعالى والرسولِ عليه الصلاة والسلام في وجوب الطاعةِ لهم " أ هـ .

اعلم أخي المجاهد أن طاعة الأمير من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال النبي صلى الله عليه وسلم: " « ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني ».

قال القرطبي رحمه الله في المفهم : " ووجهه : أن أمير رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إنما هو منفذ أمره، ولا يتصرف إلا بأمره، فمن أطاعه فقد أطاع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى هذا فكل من أطاع أمير رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقد أطاع الرسول، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله ، فينتج أن من أطاع أمير رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقد أطاع الله ، وهو حق صحيح، وليس هذا الأمر خاصا بمن باشره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بتوليه الإمارة، بل هو عالم في كل أمير للمسلمين عدل ، ويلزم منه نقيض ذلك في المخالفة والمعصية".

وكل من أطلق عليه أمير فتجب طاعته.

قال الوزير ابن هبيرة رحمه الله في الافصاح : " وقوله: (وإن كان عبدًا مجدع الأطراف) فيه دليل على جواز استعمال العبد والمجدع: المقطع الأطراف " أ هـ.

وهذا يدل على أن طاعة الأمير متعينة، لا لأجل شوكته، ولا لأجل قوته، ولكن لأنه ولّاه الإمام.

قال الشيخ العثيمين : " وجوب طاعة الأمير وإن لم يكن السلطان، لقوله: "وَإِن تَأَمرَ عَلَيكُم" ومعلوم أن الأمة الإسلامية من قديم الزمان فيها خليفة وهو السلطان، وهناك أمراء للبلدان، وإذا وجبت طاعة الأمير فطاعة السلطان من باب أولى.

وهنا سؤال يكثر: إذا أمَّر الناس عليهم أميراً في السفر، فهل تلزمهم طاعته؟

فالجواب: نعم، تلزمهم طاعته، وإذا لم نقل بذلك لم يكن هناك فائدة من تأميره، لكن طاعته فيما يتعلق بأمور السفر لا في كل شيء، إلا أن الشيء الذي لا يتعلق بأمور السفر لا تجوز منابذته فيه " أ هـ .

قال الشيخ عطية الله تقبله الله : (وهذه الأحاديث النبوية والنصوص الشرعية التي ذكرت في وجوب السمع والطاعة والوفاء للأمراء بيعاتهم وعدم الخروج عليهم....إلخ أنما هي شاملةٌ للأمراء ممن هم دون الإمام الأعظم، كأمراء الجماعات المجاهدة في وقتنا هذا، أو الممكنة تمكينا غير كامل في بعض نواحي البلاد الإسلامية ونحوها، (كما كانت دولة طالبان في معظم أفغانستان مثلا) فهذه تأخذ في محل ولايتها حكم الإمام الأعظم وتنطبق عليها الأحاديث الواردة في السمع والطاعة والوفاء وتحريم الخروج عليها... أما الجماعات المجاهدة فليس لها حكم الإمامة العظمى في كل ما ورد من أحكام شرعية، ولكن تجتمع معها في بعض الأحكام بمقتضى العموم المعنوي، مثل عموم تحريم الشقاق بين المسلمين وتفريق كلمتهم وإضعافهم وإذهاب ريحهم... وعموم وجوب أضداد ذلك من الاجتماع على الحق وعلى أمير

واحدٍ قدر الإمكان والائتلاف... وأن الجهاد لا يقوم ولا يمكن إلا بها فهي واجبةٌ بقاعدة ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وأنها جائزة بأصل الشرع بأدلة متعددة، فلما كانت مشروعة، بل واجبةً، اقتضت المصلحة المتحققة الضرورية أن تكون هذه الجماعات المجاهدة تأخذ الكثير من الأحكام التي وردت في الإمامة العظمى، ثم إن الكثير من الأحكام الواردة في الحديث هي معلقة بطاعة الأمير، الذي يشمل كل تأميرٍ سواء كان الإمام الأعظم نفسه، أو أميراً من جهته، أو غيرهما كأمير سفرٍ مثلا، أو أمير جهادٍ وحرب عيّنه المسلمون في حربِ عدوهم. اهـ

لا طاعة للأمير في معصية الله تعالى.

في قصة سرية عبدالله بن حذافة ﷺ عندما أمر أصحابه أن يوقدوا ناراً ويدخلوها، فلما بلغ ذلك النبي – ﷺ– قال : " لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف" أخرجه الشيخان.

قال ابن القيم – معلقاً على تلك القصة– :" فإذا كان هذا حكم من عذّب نفسه طاعة لولي الأمر، فكيف من عذّب مسلماً لا يجوز تعذيبه طاعة لولي الأمر!.

وقال يونس بن عبيد : إذا خالف السلطان السنة وقالت الرعية قد أمرنا بطاعته أسكن الله قلوبهم الشك وأورثهم التطاعن. الإبانة الصغرى لابن بطة

قال أبو مُحَمَّد الحسيني وهو كان من جماعة البغدادي في النصيحة الهاشمية في بيان الطاعة العمياء عند اتباع البغدادي : (لقد ابتلينا بمن يقول (لو أمرني الأمير بالسجود لفلان لسجدت له ، ولو أمرني الأمير بقتل فلان لقتلته، ولو كان بريئاً ولو ولو ولو) أ هـ .

ـ ينبغي على الأمراء التيسير على من ولاهم الله من الرعية.

في العمدة : ينبغي أن يكون دأب الأمير التيسير على من معه في التدريب والتعليم والمعيشة ما لم يكن إثما: فقد قال رسول الله ﷺ : «يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا»، قال ابن حجر: "والمراد تأليف من قَرب إسلامه وترك التشديد عليه في الابتداء، وكذلك الزجر عن المعاصي ينبغي أن يكون بتلطف ليُقبل، وكذلك تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتَّدرُّج، لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلا حُبِّب إلى من يدخل فيه وتَلَقَّاه بانبساط، وكانت عاقبته غالبا الإزدياد، بخلاف ضده، والله أعلم".

كذلك طاعتهم فيما نحب ونكره والمنشط والمكره .

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : " بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم " رواه البخاري ومسلم.

قال القرطبي رحمه الله في المفهم : " وقوله ﷺ : (وعليك السَّمع والطَّاعة)؛ بالنصب على الإغراء ، ويلزم منه الوجوب . ولا خلاف في وجوب طاعة أمراء المسلمين على الجملة . وسيأتي تفصيله .

وقوله (المنشط والمكره) : مصدران ؛ ويعني بذلك ؛ ويعني بذلك : أنَّ طاعة الأمير واجبة على كل حال ، سواء كان المأمور به موافقًا لنشاط الإنسان . وهواه، أو مخالفًا له " .

إذا أخطأ الأمير تجب مناصحته.

وقال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله في جامع العلوم والحكم : عندما شرح حديث تميم الداري رضي الله عنه (الدين النصيحة) قال: " وأما النصيحة لأئمة المسلمين فحب صلاحهم ورشدهم وعدلهم وحب اجتماع الأمة عليهم، وكراهة افتراق الأمة عليهم، والتدين لطاعتهم في طاعة الله عز وجل، والبغض لمن رأى الخروج عليهم، وحب إعزازهم في طاعة الله عز وجل " أ هـ .

طاعة الأمير تؤثر في الإيمان سلباً وايجاباً.

في قصة الملأ من بني إسرائيل إذ طلبوا إلى نبيهم أن يبعث لهم ملكا يقاتلون معه في سبيل الله أكثر من عبرة .

في حديث للبخاري في كتاب المغازي عن البراء رضي الله عنه قال : « ولم يجاوز معه إلا مؤمن». أي مع طالوت الملك الذي عينه لبني إسرائيل نبيهم.

فكانت طاعة الأمير الملك معيارا للإيمان .

قال القاسمي في محاسن التأويل تحت القصة نفسها : " وجوب طاعة الأمير في أمر السياسة وتدبير الحرب ، لأن سياق الآية يقضي بذلك ، ففي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : (أطيعوا الأمير ولو كان عبداً حبشياً) وقد ذكر أهل علم المعاملة : أنه ينبغي في الأسفار أن يجعل أهل السفر لهم أميراً ودليلاً وإماماً، وهذا محمود ؛ إذ بذلك ينقطع الجدال وتنتظم [في المطبوع : وينتظم] أمورهم . ويلزم مثل هذا في كل أمر يحتاج فيه إلى ترداد في الآراء ، نحو أمور الأوقاف والمساجد والإمامة لكل مسجد ونحو هذا " أ هـ .

قال القصاب في النكت : " وقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا) إلى قوله (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)

دليـل علـى أن لا يصـلح في الحـرب إلا مـدبرا واحـدا، وأن منازعتـه والخـلاف عليـه داع إلى الفشـل وتشـويش الأمـر، والصـبر - والله أعلـم - في الآيـة جـامع للثبـات ولـزوم طاعة الأمير في تدبير الحرب " .

****

وأنفق الكريمة

قال في عون المعبود : " أي النفيسة الجيدة من كل شيء قاله في المجمع" أ هـ .

وقال القارئ : أي المختارة من ماله وقيل نفسه " أ هـ .

قال الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}.

قال ابن القيم في طريق الهجرتين : " فنهى سبحانه عن قصد إخراج الرديء ، كما هو عادة أكثر النفوس : تمسك الجيد لها وتخرج الرديء للفقير.

ونهيه سبحانه عن قصد ذلك وتيممه فيه ما يشبه العذر لمن فعل ذلك لا عن قصد وتيمم ، بل عن اتفاق إذ كان هو الحاضر إذ ذاك ، أو كان ماله من جنسه. فإن هذا لم يتيمم الخبيث بل تيمم إخراج بعض ما من الله به عليه.

وموقع قوله : مِنْهُ تُنْفِقُونَ موقع الحال أي لا تقصدوه منفقين منه.

ثم قال {وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ} أي لو كنتم أنتم المستحقون له وبذل لكم لم تأخذوه في حقوقكم إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه ...

ثم ختم الآيتين بصفتين يقتضيهما سياقهما ، فقال : وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ فغناه وحمده يأبيان قبوله الرديء ، فإن قابل الرديء الخبيث إما أن يقبله لحاجته إليه ، وإما أن نفسه لا تأباه لعدم كمالها وشرفها ، وأما الغني عنه الشريف القدر الكامل الأوصاف فإنه لا يقبله " أ هـ .

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده عصا وقد علق رجل قنو حشف فجعل يطعن في ذلك القنو فقال : (لو شاء رب هذه الصدقة تصدق بأطيب من هذا إن رب هذه الصدقة يأكل حشفا يوم القيامة) رواه النسائي واللفظ له وأبو داود وحسنه الألباني.

وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب . قال أنس فلما أنزلت هذه الآية { لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ } . قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول { لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ } . وإن أحب أموالي إلي بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله . قال فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم (بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين) متفق عليه.

وروى البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال أصاب عمر بخيبر أرضاً فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أصبت أرضاً لم أحب مالاً قط أنفس منه فكيف تأمرني به قال إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها فتصدق عمر أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث في الفقراء والقربى والرقاب وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقاً غير متمول فيه

عن أبي ذر رضى الله عنه : سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أفضل ؟ قال :"إيمان بالله وجهاد في سبيله" قلت: فأي الرقاب أفضل ؟ قال : " أغلاها ثمناً وأنفسها عند أهلها" متفق عليه.

قال النووي في شرح مسلم : " ومعنى "أنفسها عند أهلها" أي ما كان سرورهم بها أشد ، وهو الموافق لقوله تعالى : "لن تنالوا البِرَّ حتى تنفقوا مما تحبون" .

وروي أن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ كان يتصدق بالسُكَّر، فقيل له: لو تصدقت بثمن هذا كان أنفع لهم. قال: قد علمت ذلك، ولكن سمعت الله يقول: ?لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ?. وقد علم الله أني أحبُّ السُكرَّ.

عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قَالَ: تَلَوْتُ هذه الآية {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} فذكرت ما أعطاني الله تعالى ، فما وجدت شيئًا أحبَّ إلي من جاريتي رضية، فقلت: هي حرة لوجه الله عز وجل فلولا أني لا أعود في شيء جعلته لله عز وجل لنكحتها؛ فأنكحها نافع فهي أم ولده.

وقد صنعوا للربيع بن خيثم العالم الزاهد طعاماً خبيصاً ـ والخبيص من أجود الأكل ـ وكان الربيع جائعاً، فلما قدموا له الجفنة، إذا بمسكين يطرق الباب!، قال فصنع له أهله خبيصاً مرة ثانية، ولما قدموه ليأكل إذا بمسكين يطرق الباب قال: أدخلوه فأكل ، وكان المسكين الثاني اعمي، فقال له أهله: والله ما يعلم هل هو خبيص أو لا ...، قال : لكن الله سبحانه يعلم!. فقالوا له: كيف ذلك؟ قال {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}، ثم قال {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ }.

وقيل لقيس بن سعد: هل رأيت قط أسخى منك؟ قال: نعم، نزلنا بالبادية على امرأة، فجاء زوجها، فقالت له: إنه نزل بنا ضيفان. فجاءنا بناقة فنحرها، وقال: شأنكم. فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها، وقال: شأنكم، فقلنا: ما أكلنا

من التي نحرت البارحة إلا القليل، فقال: إني لا أطعم ضيفاني البائت. فبقينا عنده أياماً، والسماء تمطر وهو يفعل كذلك، فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته، وقلنا للمرأة: اعتذري لنا إليه ومضينا، فلما ارتفع النهار إذا برجل يصيح خلفنا قفوا أيها الركب اللئام، أعطيتمونا ثمن قرانا، ثم إنه لحقنا، وقال: خذوها وإلا طعنتكم برمحي هذا، فأخذناها وانصرفنا.

****

الجود بالنفس

قال ابن القيم رحمه الله في المدارج : " والجود عشر مراتب أحدها : الجود بالنفس وهو أعلى مراتبه كما قال الشاعر :

يجود بالنفس إذ ضن البخيل بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود " أ هـ .

قال القرطبي في تفسيره : " والإيثار بالنفس فوق الإيثار بالمال وإن عاد إلى النفس. ومن الأمثال السائرة:

والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

ومن عبارات الصوفية الرشيقة في حد المحبة: أنها الإيثار، ألا ترى أن امرأة العزيز لما تناهت في حبها ليوسف عليه السلام، آثرته على نفسها فقالت: أنا راودته عن نفسه. وأفضل الجود بالنفس الجوة على حماية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففي الصحيح أن أبا طلحة ترس على النبي ﷺ يوم أحد، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتطلع ليرى القوم. فيقول له أبو طلحة: لا تشرف يا رسول الله! لا يصيبونك! نحري دون نحرك ووقى بيده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فشلت. وقال حذيفة العدوي: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي- ومعي شي من الماء- وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به، فقلت له: أسقيك، فأشار برأسه أن نعم فإذا أنا برجل يقول: آه! آه! فأشار إلي ابن عمي أن انطلق إليه، فإذا هو هشام بن العاص فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نعم. فسمع آخر يقول: آه! آه! فأشار هشام أن انطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات. فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات. فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات. وقال أبو يزيد البسطامي: ما غلبني

أحد ما غلبني شاب من أهل بلخ! قدم علينا حاجا فقال لي: يا أبا يزيد، ما حد الزهد عندكم؟ فقلت: إن وجدنا أكلنا. وإن فقدنا صبرنا. فقال: هكذا كلاب بلخ عندنا. فقلت: وما حد الزهد عندكم؟ قال: إن فقدنا شكرنا، وإن وجدنا آثرنا " أ هـ.

ومن عجائب ما ذكر في الإيثار: ما حكاه أبو مُحَمَّد الأزدي قال: لما احترق المسجد بمرو، ظن المسلمون أن النصارى أحرقوه، فأحرقوا خاناتهم، فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخانات، وكتب رقاعاً فيها القطع والجلد والقتل ونثرها عليهم، فمن وقع عليه رقعة فعل به ما فيها. فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل، فقال: والله ما كنت أبالي لولا أم لي. وكان بجنبه بعض الفتيان، فقال له: في رقعتي الجلد وليس لي أم، فخذ أنت رقعتي وأعطني رقعتك. ففعل، فقتل ذلك الفتى وتخلص هذا الرجل .

و في حديث علي بن أبي طالب في مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عزم الكفار على قتله مشهور، مما يدل على الجود بالنفس .

والله سبحانه وتعالى يقول {إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُوْنَ فِي سَبِيْلِ اللهِ فَيَقْتُلُوْنَ وَيُقْتَلُوْنَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيْلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ}.

الله سبحانه وتعالى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ليقاتلوا في سبيله. (قال ابن عيينة معنى الآية: اشترى منهم أنفسهم ألاّ يُعمِلوها إلاّ في طاعة الله، وأموالهم ألاّ ينفقوها إلاّ في سبيل الله).

قال الشنقيطي في أضواء البيان : " فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ تَقْدِيمُ الْجِهَادِ بِالْمَالِ عَلَى الْجِهَادِ بِالنَّفْسِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ) .

وَفِي آيَةِ (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)، قَدَّمَ النَّفْسَ عَنِ الْمَالِ فَقَالَ : اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، وَفِي ذَلِكَ سِرٌّ لَطِيفٌ .

أَمَّا فِي آيَةِ «الصَّفِّ» فَإِنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ تَفْسِيرٍ وَبَيَانٍ لِمَعْنَى التِّجَارَةِ الرَّابِحَةِ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَحَقِيقَةُ الْجِهَادِ بَذْلُ الْجُهْدِ وَالطَّاقَةِ ، وَالْمَالُ هُوَ عَصَبُ الْحَرْبِ وَهُوَ مَدَدُ الْجَيْشِ ، وَهُوَ أَهَمُّ مِنَ الْجِهَادِ بِالسِّلَاحِ ، فَبِالْمَالِ يُشْتَرَى السِّلَاحُ ، وَقَدْ تُسْتَأْجَرُ الرِّجَالُ كَمَا فِي الْجُيُوشِ الْحَدِيثَةِ مِنَ الْفِرَقِ الْأَجْنَبِيَّةِ ، وَبِالْمَالِ يُجَهَّزُ الْجَيْشُ ، وَلِذَا لَمَّا جَاءَ الْإِذْنُ بِالْجِهَادِ أَعْذَرَ اللَّهُ الْمَرْضَى وَالضُّعَفَاءَ ، وَأَعْذَرَ مَعَهُمُ الْفُقَرَاءَ الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ تَجْهِيزَ أَنْفُسِهِمْ ، وَأَعْذَرَ مَعَهُمُ الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذْ لَمْ يُوجَدْ عِنْدَهُ مَا يُجَهِّزُهُمْ بِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى ، إِلَى قَوْلِهِ : وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ.

وَكَذَلِكَ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ ، قَدْ يُجَاهِدُ بِالْمَالِ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ بِالسِّلَاحِ كَالنِّسَاءِ وَالضُّعَفَاءِ ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فَقَدْ غَزَا» .

أَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَةُ فَهِيَ فِي مَعْرِضِ الِاسْتِبْدَالِ وَالْعَرْضِ وَالطَّلَبِ أَوْ مَا يُسَمَّى بِالْمُسَاوَمَةِ، فَقَدَّمَ النَّفْسَ ؛ لِأَنَّهَا أَعَزُّ مَا يَمْلِكُ الْحَيُّ ، وَجَعَلَ فِي مُقَابِلِهَا الْجَنَّةَ وَهِيَ أَعَزُّ مَا يُوهَبُ " أ هـ .

من أعظم انفاق الكريمة العمليات الاستشهادية.

في قصة الغلام مع الملك ما يدل على هذا ، وقد وردت في الصحيحين، حيث ضحى بنفسه من أجل إظهار الحق وألقى بنفسه إلى التهلكة، فكانت النتيجة أن آمن الناس برب الغلام وكفروا بالملك ودينه، فقادهم هذا إلى التضحية بأنفسهم بأن أُلقوا في النار جميعاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في الفتاوى : " وفيها ؛ أن الغلام أمر بقتل نفسه لأجل مصلحة ظهور الدين، ولهذا جوز الأئمة الأربعة أن ينغمس المسلم في صف الكفار، وإن غلب على ظنه أنهم يقتلونه، إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين ، وقد بسطنا القول في هذه المسالة في موضع آخر .

فإذا كان الرجل يفعل ما يعتقد أنه يقتل به لأجل مصلحة الجهاد، مع أن قتله نفسه أعظم من قتله لغيره، كان ما يفضى إلى قتل غيره لأجل مصلحة الدين التي لا تحصل إلا بذلك، ودفع ضرر العدو المفسد للدين والدنيا الذي لا يندفع إلا بذلك أولى.

وإذا كانت السنة والإجماع متفقين على أن الصائل المسلم إذا لم يندفع صوله إلا بالقتل؛ قتل، وإن كان المال الذي يأخذه قيراطًا من دينار " أ هـ.

كذلك ما حدث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في معركة بدر، عمير بن الحمام كان في يده تمرات لكنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض)، فقال عمير بن الحمام: (جنة عرضها السماوات والأرض؟!)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نعم)، قال عمير بن الحمام: (بخ! بخ! لا والله يا رسول الله لابد أن أكون من أهلها)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فإنك من أهلها).

عمير بن الحمام كان عنده تمرات يريد أن يأكلها شرع في أكلها، ثم قال: (إن حييت حتى آكل هذه التمرات إنها لحياة طويلة)، ثم رمى بتلك التمرات وتقدم إلى المعركة وقاتل حتى قتل رضي الله عنه.

روى مسلم في صحيحه عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه، قال: سمعت أبي - وهو بحضرة العدو - يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف)، فقام رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسى! آنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا؟ قال: نعم! فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه فألقاه ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل).

قصة أنس بن النضر رضي الله عنه: بوب البخاري رحمه الله: (باب قول الله عز وجل { مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا })، وساق بسنده عن أنس رضي الله عنه، قال: (غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال؛ يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع! فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال؛ اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال؛ يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، فقال سعد؛ فما استطعت يا رسول الله ما صنع! قال أنس؛ فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس؛ كنا نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه، { مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ. . . إلى آخر الآية }).

قال ابن حجر في الفتح : " وفي قصة أنس بن النضر من الفوائد؛ جواز بذل النفس في الجهاد، وفضل الوفاء بالعهد ولو شق على النفس حتى يصل إلى إهلاكها، وأن طلب الشهادة في الجهاد لا يتناوله النهي عن الإلقاء إلى التهلكة، وفيه فضيلة ظاهرة لأنس بن النضر وما كان عليه من صحة الإيمان وكثرة التوقي والتورع وقوة اليقين " .

وقد قال شيخ الإسلام: " جوّز الأئمة الأربعة أن ينغمس المسلم في صف الكفار وإن غلب على ظنه أنهم يقتلونه إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين.. فإذا كان الرجل يفعل ما يعتقد أنه يقتل به لأجل مصلحة الجهاد؛ مع أن قتله نفسه أعظم من قتله لغيره؛ كان ما يفضي إلى قتل غيره لأجل مصلحة الدين التي لا تحصل إلا بذلك، ودفع ضرر العدو المفسد للدين والدنيا الذي لا يندفع إلا بذلك أولى " أ هـ.

قال ابن القيم رحمه الله في الفوائد المأخوذة من غزوة أحد في الزاد :" ومنها؛ جواز الانغماس في العدو، كما انغمس أنس بن النضر وغيره " أ هـ .

وقد أفتى بالجواز الشيخ الألباني [ففي الشريط الرابع و الثلاثين بعد المائة من سلسلة الهدى والنور] حيث سُئل رحمه الله سؤالاً قال صاحبه : هناك قوات تسمى بالكوماندوز ، يكون فيها قوات للعدو تضايق المسلمين ، فيضعون – أي المسلمون – فرقة انتحارية تضع القنابل و يدخلون على دبابات العدو، و يكون هناك قتل... فهل يعد هذا انتحاراً ؟.

فأجاب بقوله : (لا يعد هذا انتحاراً ؛ لأنّ الانتحار هو: أن يقتل المسلم نفسه خلاصاً من هذه الحياة التعيسة ... أما هذه الصورة التي أنت تسأل عنها ... فهذا جهاد في سبيل الله... إلا أن هناك ملاحظة يجب الانتباه لها ، وهي أن هذا العمل

لا ينبغي أن يكون فردياً شخصياً ، إنما يكون بأمر قائد الجيش ... فإذا كان قائد الجيش يستغني عن هذا الفدائي ، ويرى أن في خسارته ربح كبير من جهة أخرى ، وهو إفناء عدد كبير من المشركين و الكفار، فالرأي رأيه و تجب طاعته ، حتى و لو لم يَرضَ هذا الإنسان فعليه الطاعة ...) .

إلى أن قال رحمه الله : الانتحار من أكبر المحرمات في الإسلام ؛ لأنّه لا يفعله إلا غضبان على ربه ولم يرض بقضاء الله ... أما هذا فليس انتحاراً ، كما كان يفعله الصحابة يهجم الرجل على جماعة من الكفار بسيفه ، و يُعمِل فيهم السيف حتى يأتيه الموت و هو صابر ، لأنه يعلم أن مآله إلى الجنة ... فشتان بين من يقتل نفسه بهذه الطريقة الجهادية و بين من يتخلص من حياته بالانتحار ، أو يركب رأسه ويجتهد بنفسه ، فهذا يدخل في باب إلقاء النفس في التهلكة).

****

وياسر الشريك

قال الخطابي في المعالم : " معناه الأخذ باليسر في الأمر والسهولة فيه مع الشريك والصاحب والمعاونة لهما يقال رجل يسر إذا كان سهل الخلق وقوم أيسار " أ هـ .

قال ابن مسكويه : " وأما السماحة: فهي بذل بعض ما لا يجب ، وأما المسامحة: فهي ترك بعض ما يجب، والجميع يكون بالإرادة والاختيار " .

قد يقول قائل فما علاقة مياسرة الشريك بالغزو ؟

فالجواب : أن الغزو يحتاج منا الى مياسرة ومسامحة وسهولة في التعامل، لأنك سوف تجتمع مع شتى الأصناف الصالح والطالح ، العربي والأعجمي، الشديد والمتساهل، الكريم والبخيل، المآثر ومن يحب نفسه، الخدوم لإخوانه والكسلان، فتحتاج أنت إلى مياسرة.

النبي ﷺ عندما أرسل معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن قال: " تطاوعا ولا تختلفا "، أي أنه لا بد من المطاوعة لا بد من المياسرة سواء في السفر أو الحضر.

وعن ابن مسعود ﷺ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يحرم على النار كلُّ هِّين ليّن قريبٍ سَهْل).

وعن عياض بن حماد رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال) رواه مسلم .

وعن أبي عنبة الخولاني رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: (إن لله آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليها ألينها وأرقها) رواه الطبراني وصححه الألباني

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف إذا قيد انقاد، وإذا أنيخ على صخرة استناخ) حسنه الألباني.

الدين الإسلامي قائم على اليسر والسماحة قال الله تعالى{ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } وقال صلى الله عليه وسلم : (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة).

كذلك التيسير والمسامحة في المعاملات ، يقول عليه الصلاة والسلام: (رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى).

التيسير على المدين المعسر: وهو مبدأ عظيم جاء به الإسلام، رحمة بحاله وتقديرًا لظروفه القاسية، وهو عنصر قوي من عناصر التكافل الاجتماعي بين أبناء الأمة، حيث يجعل من المجتمع وحدة متينة، قائمة على الحب والوئام، والتعاون والتراحم، وهو تطبيق عملي لقوله تعالى { وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [البقرة: 280].

إن هذا المبدأ المبارك في التيسير على المدين المعسر يفتقده العالم المعاصر في ظل هذا التطور الحضاري الهائل، وهو وصية الرسول عليه الصلاة والسلام منذ أربعة عشر قرنًا لأصحابه وللأمة من بعدهم في قوله: « من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه » .

ويقول عليه الصلاة والسلام في قصة رجل من الأمم السابقة كان يتجاوز عن المعسرين: « كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه ».

كان يقال : من رضى من الناس بالمسامحة طال استمتاعه بهم.

قال أكثم بن صيفي: من تشدّد فرّق، ومن تراخى تألف، والسرور في التغافل.

قال علي رضى الله عنه : شرط الصحبة إقاله العثرة ، ومسامحة العشرة ، والمواساة في العسرة. قال الشاعر:

وكنت إذا صحبت رجال قوم صحبتهم وثبتني الوفاء

فأحسن حين يحسن محسنوهم وأجتنب الإساءة إن أساؤوا

وأبصر ما يعيبهم بعين عليها من عيونهم غطاء

******

واجتنب الفساد

قال الملأ علي القاري في المرقاة : " أي التجاوز عن المشروع قتلا وضربا وتخريبا ونهبا على قصد الفساد لقوله تعالى { وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ } أي لا تفسدوا فيها حال كونكم قاصدين الفساد بل مريدين صلاح البلاد والعباد " .

قال الرّاغب : " الفساد خروج الشّيء عن الاعتدال قليلا كان الخروج عليه أو كثيرا، ويستعمل في النّفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة " أ هـ.

الاجتناب: أشد من النهي، والأمر به أشد من النهي المجرد، مثل قوله { إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ } فهو أبلغ من النهي، ومنه قوله تعالى { فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ } فالأمر بالاجتناب أشد من النهي المجرد، فيقول الله تبارك وتعالى: { إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ } .

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

وحذيفة رضي الله عنه قال : (كان الناس يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني) متفق عليه.

وكما قيل : الضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتميز الأشياء

قال ابن القيّم رحمه الله في قوله تعالى: { وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها }

قال أكثر المفسّرين: لا تفسدوا فيها بالمعاصي، والدّعاء إلى غير طاعة الله، بعد إصلاح الله لها ببعث الرّسل، وبيان الشّريعة، والدّعاء إلى طاعة الله، فإنّ عبادة غير

الله والدّعوة إلى غيره والشّرك به هو أعظم فساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنّما هو بالشّرك به ومخالفة أمره، فالشّرك والدّعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره، ومطاع متّبع غير رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، هو أعظم فساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلّا بأن يكون الله وحده هو المعبود المطاع، والدّعوة له لا لغيره، والطّاعة والاتّباع لرسوله ليس إلّا، وغيره إنّما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم. فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع له ولا طاعة. ومن تدبّر أحوال العالم وجد كلّ صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكلّ شرّ في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدوّ وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله، والدّعوة إلى غير الله ورسوله " أ هـ.

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله في الصارم المسلول (385): (المحاربة نوعان: محاربة باليد ومحاربة باللسان والمحاربة باللسان في باب الدين قد تكون أنكى من المحاربة باليد...ولذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام يقتل من كان يحاربه باللسان مع استبقائه بعض من حاربه باليد خصوصا محاربة الرسول ﷺ بعد موته فإنها إنما تمكن باللسان وكذلك الإفساد قد يكون باليد وقد يكون باللسان وما يفسده اللسان من الأديان أضعاف ما تفسده اليد كما أن ما يصلحه اللسان من الأديان أضعاف ما تصلحه اليد فثبت أن محاربة الله ورسوله باللسان أشد والسعي في الأرض لفساد الدين باللسان أوكد فهذا الساب لله ولرسوله أولى باسم المحارب المفسد من قاطع الطريق) أ هـ .

******

فإن نومه وتنبهه أجر كله

قال المناوي في فيض القدير : "بفتح فسكون يقظته (أجر كله) أي ذو أجر وثواب والمراد أن من كان هذا شأنه فجميع حالاته من حركة وسكون ونوم ويقظة جالبة للثواب بمعنى أن كلا من ذلك أجر فقوله كله مبتدأ وأجر خبره ولا يصح جعل كله تأكيدا ذكره القاضي والطيبي " أ هـ .

الإنسان يؤجر حتى في فعل المباحات إذا احتسبت الأجر .

قال صلى الله عليه وسلم : (وفي بضع أحدكم صدقة).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : (إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا أجرت عليه حتى ما تجعل في فيّ امرأتك) متفق عليه .

قال بعض السلف: (إني لأستحب أن يكون لي في كل شيء نية، حتى في أكلي، وشربي، ونومي، ودخولي الخلاء، وفي كل ذلك، مما يمكن أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى، لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن، وفراغ القلب من مهمات الدين) .

قال ابن الشاط في غمز عيون البصائر: " إذا قصد بالمباحات التقوى على الطاعات أو التوصل إليها كانت عبادة كالأكل والنوم واكتساب المال " ا هـ .

قال أبو الدرداء: إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قوتي.

قال شيخ الإسلام في كتاب الإيمان : "والمباح بالنية الحسنة يكون خيراً، وبالنية السيئة يكون شراً ، ولا يكون فعل اختياري إلا بإرادة؛ ولهذا قال النبي صلى الله

عليه وسلم في الحديث الصحيح : " أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدق الأسماء حارث وهمَّام، وأقبحها : حَرْبٌ وَمُرَّة ".

وقوله : " أصدق الأسماء حارث وهمام "؛ لأن كل إنسان همام حارث، والحارث الكاسب العامل، والهمام الكثير الهم _ وهو مبدأ الإرادة _ وهو حيوان، وكل حيوان حساس متحرك بالإرادة، فإذا فعل شيئًا من المباحات؛ فلابد له من غاية ينتهي إليها قصده، وكل مقصود إما أن يقصد لنفسه، وإما أن يقصد لغيره، فإن كان منتهى مقصوده ومراده عبادة الله وحده لا شريك له، وهو إلهه الذي يعبده لا يعبد شيئًا سواه، وهو أحب إليه من كل ما سواه، فإن إرادته تنتهي إلى إرادته وجه الله، فيثاب على مباحاته التي يقصد الاستعانة بها على الطاعة، كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " نَفَقَة الرجل على أهله يحتسبها صدقة ". وفي الصحيحين عنه أنه قال لسعد بن أبي وقاص لما مرض بمكة وعاده : " إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة، حتى اللُّقْمَة ترفعها إلى في امرأتك ". وقال معاذ بن جبل لأبي موسى : إني أحتسب نَوْمَتِي كما أحتسب قَوْمَتِي . وفي الأثر : نوم العالِمِ تسبيحٌ " أ هـ.

****

وأما من غزا فخرا ورياء وسمعة

في تهذيب اللغة :"والفخر معروف، وقد فاخرته ففخرته، وهو نشر المناقب، وذكر الكرام بالكرم.

ورجل فخير: كثير الافتخار وأنشد:

يمشي كمشي المرح الفخير

والفخير: المغلوب بالفخر.

والشيء الجيد يقال له: الفاخر " .

يقول ابن قدامة: " اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع" أهـ.

ويقول الحافظ ابن حجر: " السُّمعة بضم المهملة وسكون الميم مشتقة من سمع، والمراد بها نحو ما في الرياء، لكنّها تتعلّق بحاسّة السمع، والرياء بحاسّة البصر " أ هـ.

وأمّا تعريف الرياء اصطلاحاً، فقد عرّفه أبو هلال العسكري بقوله: " الرياء جميل الفعل رغبة في حمد الناس لا في ثواب الله تعالى " أ هـ .

وعرّفه العز بن عبد السلام بقوله: " الرياء إظهار عمل العبادة لينال مُظْهِرُها عرضاً دنيويّاً إما بجلب نفع دنيوي، أو لدفع ضرر دنيوي، أو تعظيم أو إجلال " .

ويقول القرطبي: " الرياء وهو أن يفعل شيئاً من العبادات التي أمر الله بفعلها له لغيره " .

ويقول الحافظ ابن حجر: " الرياء إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها " .

والإنسان مجبول على حب البحث عن العزة بأي سبب من الأسباب .

الكفار يعتزون بكفرهم وشركهم وقديما اعتز المشركون بعبادتهم للأوثان، فقال تعالى { وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (81) كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ، وهؤلاء سحرة فرعون ظنوا أن العزة بيد فرعون فتحدوا موسى بذلك، فقال تعالى { فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ } وهذا القسم من الناس عباد الله خائب في الدنيا خاسر في الآخرة .

قال الله تعالى {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}.

قال العلامة السعدي رحمه الله : " أي: متكبر فظ غليظ، معجب بنفسه، فخور بنعم الله، ينسبها إلى نفسه، وتطغيه وتلهيه، كما قال تبارك وتعالى: { ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بل هي فتنة } أ هـ .

والافتخار بالقوة مهلكة:

قوله تعالى {فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ}.

وأمر الله عز وجل نبيه بالإنذار والدعوة ، وتعظيم ربه عز وجل وفعل الخير، واجتناب الشر، وهجر الأوثان، ثم قال له بعد ذلك :{وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ }، قال الحسن البصري :(لا تمنن بعملك على ربك تستكثره)، فإنه مهما كَثرَ العمل ففضل الله أعظم، وحقه أكبر .

وقد نهى الله عن تزكية النفس، بمعنى اعتقاد خيريتها، والتمدّح بها فقال {فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ }، كما نهى عن المن بالصدقة فقال : {لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى} والمن يحصل نتيجة استعظام الصدقة ، واستعظام العمل هو العُجب . والإعجاب بالنفس شر، وأي شر، قال ابن المبارك: (لا أعلم في المصلين شيئاً شراً من العجب).

قال ابن معين : ما رأيت مثل أحمد . صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الخير.

وقال ابن القيم رحمه الله في المدارج : " فالافتخار نوعان مذموم ومحمود فالمذموم إظهار مرتبته على أبناء جنسه ترفعا عليهم وهذا غير مراد والمحمود إظهار الأحوال السنية والمقامات الشريفة بوحا بها أي تصريحا وإعلانا لا على وجه الفخر بل على وجه تعظيم النعمة والفرح بها وذكرها ونشرها والتحدث بها والترغيب فيها وغير ذلك من المقاصد في إظهارها كما قال النبي أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنا أول من رمى بسهم في سبيل الله وقال أبو ذر رضي الله عنه لقد أتي علي كذا وكذا وإني لثالث الإسلام وقال علي رضي الله عنه إنه لعهد النبي الأمي إلي أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق وقال عمر رضي الله عنه وافقت ربي في ثلاث وقال علي رضي الله عنه وأشار إلى صدره إن ههنا علما جما لو أصبت له حملة وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أخذت من في رسول الله سبعين سورة وإن زيدا ليلعب مع الغلمان وقال أيضا ما من كتاب الله آية إلا وأنا أعلم أين نزلت وماذا أريد بها ولو أعلم أن أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لرحلت إليه وقال بعض الصحابة لأن تختلف في الأسنة أحب إلي من أن أحدث نفسي في الصلاة بغير ما أنا فيه وهذا أكثر من أن يذكر " أ هـ .

وقال ابن حزم رحمه الله في الاخلاق والسير: " إياك والامتداحَ؛ فإن كل من يسمعك لا يصدقك وإن كنت صادقًا، بل يجعل ما سمع منك من ذلك أول معايبك " أ هـ .

وأحيانا يجوز الإنسان أن يمتدح نفسه .

يقول النووي رحمه الله في شرحه على صحيح مسلم : "ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: "أنا النبي لا كذب" أي: أنا النبي حقاً فلا أفر، ولا أزول، وفي هذا دليل على جواز قول الإنسان في الحرب: أنا فلان، وأنا ابن فلان، ومثله قول سلمة: أنا ابن الأكوع، وقول علي رضي الله عنه: أنا الذي سمتني أمي حيدره، وأشباه ذلك، وقد صرح بجوازه علماء السلف، وفيه حديث صحيح، قالوا: وإنما يكره قول ذلك على وجه الافتخار كفعل الجاهلية والله أعلم" أ هـ .

وقال ابن القيم رحمه الله في المدارج : "وتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم، ولا فخر!"، فكيف أخبر بفضل الله ومنته عليه! وأخبر أن ذلك لم يصدر منه افتخاراً به على من دونه، ولكن إظهاراً لنعمة الله عليه وإعلاماً للأمة بقدر إمامهم ومتبوعهم عند الله، وعلو منزلته لديه؛ لتعرف الأمة نعمة الله عليه وعليهم، ويشبه هذا قول يوسف الصديق للعزيز: {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} فإخباره عن نفسه بذلك؛ لما كان متضمناً لمصلحة تعود على العزيز، وعلى الأمة، وعلى نفسه كان حسناً، إذ لم يقصد به الفخر عليهم، فمصدر الكلمة، والحامل عليها يحسنها ويهجنها، وصورته واحدة" انتهى.

******

احذر الرياء

قال ابن القيم رحمه الله : " فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقلَّ من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئاً غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيَّته وإرادته " أ. هـ.

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن أول الناس يُقضى عليه، رجل استشهد فَأَتى به فعرَّفه نِعمةُ فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدتُ. قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يُقالَ جَريء، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقِيَ في النار. ورجل تعلم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن فأُتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلمتُهُ وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليُقالُ عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسَّعَ الله عليه وأعطاه من أصناف المال كُلِّه، فأُتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جَوَاد. فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار). رواه مسلم.

قال الله تعالى {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ}.

قال القرطبي في تفسيره : " وَلا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ" أي حسناتكم بالمعاصي، قاله الحسن. وقال الزهري: بالكبائر. ابن جريج: بالرياء والسمعة " أ هـ .

وقال سبحانه {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ، وَإِذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى يراؤون النَّاسَ ، وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا }.

قال ابن كثير تحت هذه الآية: " لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله، بل إنما يشهدون الناس تقية لهم ومصانعة، ولهذا يتخلفون كثيرًا عن الصلاة التي لا يُرون فيها غالبًا كصلاة العشاء في وقت العتمة وصلاة الصبح في وقت الغلس " أ هـ.

روى الشيخان عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من سَمَّع، سَمَّعَ الله به، ومن يرائي يرائي الله به». رواه البخاري ومسلم.

قال الخطابي في معنى هذا الحديث: " من عمل عملا على غير إخلاص، إنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه، جُوزي على ذلك بأن يشهره ويفضحه، فيبدو عليه ما كان يبطنه ويُسرُّه من ذلك " أ هـ .

قال الفضيل بن عياض رحمه الله : " أدركنا الناس وهم يراءون بما يعملون فصاروا الآن يراءون بما لا يعملون !! "

قال ابن القيم "وكل مالم يكن لله فبركته منزوعة".

مَثَلُ الرياء: قال بعض الحكماء: مثل من يعمل رياء وسمعة كمثل من ملأ كيسه حصى ثم دخل السوق ليشتري به، فإذا فتحه بين يدي البائع، افتضح وضرب به وجهه فلم يحصل له به منفعة سوى قول الناس: ما ملأ كيسه، ولا يُعطى به شيئًا، فكذلك من عمل للرياء والسمعة، لا منفعة له في عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له في الآخرة.

قال تعالى { وَقَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً } أي الأعمال التي قصد بها غير ربه تعالى، يبطل ثوابها، وصارت كالهباء المنثور وهو الغبار الذي يُرى في شعاع الشمس.

قال أبو عبد الله الأنطاكي : (من طلب الإخلاص في أعماله الظاهرة وهو يلاحظ الخلق بقلبه فقد رام المحال لأن الإخلاص ماء القلب الذي به حياته والرياء يميته).

الفرق بين الرياء والسمعة والنّفاق

قال التّهانويّ: الفرق بين الرّياء والسّمعة أنّ الرّياء يكون في الفعل، والسّمعة تكون في القول .

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ :" الرياء بكسر الراء وتخفيف التحتانية والمد وهو مشتق من الرؤية والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها والسمعة بضم المهملة وسكون الميم مشتقة من سمع والمراد بها نحو ما في الرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع والرياء بحاسة البصر وقال الغزالي المعنى طلب المنزلة في قلوب الناس بأن يريهم الخصال المحمودة والمرائي هو العامل وقال بن عبد السلام الرياء ان يعمل لغير الله والسمعة أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس " أ هـ .

أمّا الفرق بين النّفاق والرّياء فيتمثّل في أنّ الأصل في الرّياء الإظهار، والأصل في النّفاق: الإخفاء إذ المرائي يظهر نيّته الحقيقيّة في طلب المنزلة عند النّاس، أمّا المنافق فإنّه يخفي على النّاس ما بداخله ويظهر خلافه، وقد يلتقي الأمران: الرّياء والنّفاق (الأصغر) في عمل المنافق، كما قال عزّ وجلّ في شأن المنافقين: {يُراؤُنَ النَّاسَ} أي بإظهار مجرّد الطّاعة، وقد يختلفان كما في قيامهم (أي المنافقين) إلى الصّلاة

كسالى وعدم ذكرهم الله إلّا قليلا، فالمرائي يظهر النّشاط ويكثر من الذّكر لينال مكانة عند النّاس بخلاف المنافق.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ النّفاق ينقسم إلى نفاق أكبر وهو النّفاق المتعلّق بالعقيدة، ونفاق أصغر وهو المتعلّق بالأعمال، وإذا كان الرّياء داخلا في النّفاق العمليّ فيكون ثمّت بينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في النّفاق العمليّ وهو كما يقول ابن رجب: أن يظهر الإنسان علانية (العمل الصّالح) ويبطن خلاف ما يظهر كلّ منهما، ينفرد النّفاق بإظهار الإيمان وإبطان الكفر (وهو النّفاق العقديّ)، وينفرد الرّياء بأنّه قد يكون في غير العبادات لطلب جاه، وليس هذا النّوع بحرام إلّا إذا حملته كثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز .(نضرة النعيم).

وأما الفرق بين الرياء والشرك الأكبر:

قال ابن حجر: يتّضح الفرق بين الرّياء (وهو الشّرك الأصغر) وبين الشّرك الأكبر بمثال هو أنّ المصلّي مراءاة يكون رياؤه سببا باعثا له على العمل، وهو تارة يقصد بعمله تعظيم الله تعالى، وتارة لا يقصد شيئا، وفي كلّ منهما لا يصدر عنه مكفّر، بخلاف الشّرك الأكبر الّذي لا يحدث إلّا إذا قصد تعظيم غير الله تعالى، وعلم بذلك أنّ المرائي إنّما حدث له هذا النّوع من الشّرك بتعظيمه قدر المخلوق عنده حتّى حمله ذلك على الرّكوع والسّجود، فكأنّ المخلوق هو المعظّم بالسّجود من وجه، وذلك غاية الجهل " أ هـ .

******

أقسام الرياء

ذكر الغزالي في الإحياء: أن الرياء بحسب ما يراءى به خمسة أقسام:

1- الرياء في الدين بالبدن، وذلك بإظهار النُحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة. أما رياء أهل الدنيا فيكون بإظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة، وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الأعضاء

2- الرياء بالهيئة والزي، وذلك بتشعيث شعر الرأس، وإبقاء أثر السجود على الوجه، وغلظ الثياب وتقصير الأكمام، وترك تنظيف الثوب، وتركه مخرقاً، كل ذلك لإظهار أنه متبع للسنة. أما مراءاةُ أهل الدنيا فبالثياب النفيسة، والمراكب الرفيعة، وأنواع التوسع والتجمل في الملبس والمسكن.

3- الرياء بالقول، ويكون من أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة، وحفظ الأخبار والآثار لإظهار غزارة العلم، ومن ذلك تحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمامهم. وأما أهل الدنيا فيكون رياؤهم بحفظ الأشعار والأمثال، والتفاصح بالعبارات، وحفظ الغريب من النحو واللغة للإغراب على أهل الفضل.

4- الرياء بالعمل، وذلك كمراءة المصلي بطول القيام والركوع والسجود ونحو ذلك. أما أهل الدنيا فمراءاتهم بالتبختر والاختيال وغيرهما مما يدل على الجاه والحشمة.

5- المراءاة بالأصحاب والزائرين، كأن يطلب المرائي من عالم أن يزوره ليقال: إن فلاناً قد زار فلاناً، ومن ذلك كثرة ذكر الشيوخ. قال الغزالي : فهذه الخمسة هي مجامع ما يرائي به المراءون، وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد .

سمات أو علامات الرياء أو السمعة

1- ينشط في العمل ويضاعف الجهد عند المدح، ويكسل ويقصر عند الذم.

2- ينشط في العمل، ويضاعف الجهد مع الناس، ويكسل ويقصر عند التفرد، والبعد عن الناس: وأشار إلى هاتين الصفتين علي رضي الله عنه بقوله:"للمرائي علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص إذا ذم".

3- الحفاظ على محارم الله ورعايتها إذا كان مع الناس، وانتهاكها عند التفرد: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ' لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا'رواه ابن ماجه وهو في صحيح الجامع الصغير .

أنواع العمل لغير الله

1. الرياء المحض.

وهو العمل الذي لا يُراد به وجه الله بحال من الأحوال، وإنما يراد به أغراض دنيوية وأحوال شخصية، وهي حال المنافقين الخلص كما حكى الله عنهم:

{وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً}.

وهذا النوع كما قال ابن رجب الحنبلي يكون في الأعمال المتعدية، كالحج، والصدقة، والجهاد، ونحوها، ويندر أن يصدر من مؤمن: (فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة).

2. أن يراد بالعمل وجه الله ومراءاة الناس.

أ) إما أن يخالط العملَ الرياءُ من أصله .

عن أبي سعيد بن أبي فضالة الصحابي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه، نادى منادٍ: من كان أشرك في عمل عمله لله عز وجل فليطلب ثوابه من عند غير الله عز وجل، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك" رواه الترمذي وحسنه الألباني.

قال ابن رجب: (وممن روي عنه هذا المعنى، وأن العمل إذا خالطه شيء من الرياء كان باطلاً: طائفة من السلف، منهم عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، والحسن، وسعيد بن المسيب، وغيرهم.

ومن مراسيل القاسم بن مُخَيْمِرَة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يقبل الله عملاً فيه مثقال حبة من خردل من رياء".

ولا نعرف عن السلف في هذا خلافاً، وإن كان فيه خلاف عن بعض المتأخرين).

ب. وإما أن يطرأ عليه الرياء بعد الشروع في العمل.

فإن كان خاطراً ماراً فدفعه فلا يضرُّه ذلك، وإن استرسل معه يُخشى عليه من بطلان عمله، ومن أهل العلم من قال يُثاب ويُجازى على أصل نيته، ويبطل ما شابه الرياء .

قال ابن رجب: (وإن استرسل معه، فهل يحبط عمله أم لا يضره ذلك ويجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري، ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يُجازى بنيته الأولى، وهو مروي عن الحسن البصري وغيره.

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في إعلام الموقعين : " أن يكون الباعث الأول على العمل هو الإخلاص ثم يعرض له الرياء وإرادة غير الله في أثنائه، فهذا المعمول فيه على الباعث الأول ما لم يفسخه بإرادة جازمة لغير الله فيكون حكمه حكم قطع النية في أثناء العبادة وفسخها أعني قطع ترك استصحاب حكمها " أ هـ .

3. أن يريد بالعمل وجه الله والأجر والغنيمة.

كمن يريد الحج وبعض المنافع، والجهاد والغنيمة، ونحو ذلك، فهذا عمله لا يحبط، ولكن أجره وثوابه ينقص عمن نوى الحج والجهاد ولم يشرك معهما غيرهما.

خرج مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجلوا ثلثي أجرهم، فإن لم يغنموا شيئاً تمَّ لهم أجرُهم".

وقال الإمام أحمد: التاجر، والمستأجر، والمكاري أجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزاتهم، ولا يكون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره.

وقال أيضاً فيمن أخذ جعلاً على الجهاد إذا لم يخرج لأجل الدراهم فلا بأس أن يأخذ، كأنه خرج لِدِينه، فإن أعطي شيئاً أخذه.

وقال ابن رجب: (فإن خالط نية الجهاد نية غير الرياء، مثل أخذ أجرة للخدمة، أو أخذ شيء من الغنيمة، أوالتجارة، نقص بذلك أجر جهادهم، ولم يبطل بالكلية..

وهكذا يقال فيمن أخذ شيئاً في الحج ليحج به، إما عن نفسه، أوعن غيره، وقد روي عن مجاهد أنه قال في حج الجمَّال، وحج الأجير، وحج التاجر، هو تمام لا ينقص من أجورهم شيء، وهو محمول على أن قصدهم الأصلي كان هو الحج دون التكسب.

4. أن يبتغي بعمله وجه الله فإذا أثني عليه سُرَّ وفرح بفضل الله ورحمته فلا يضره ذلك إن شاء الله

فعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سُئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير، ويحمده الناس عليه، فقال: "تلك عاجل بشرى المؤمن" .

******

وعصى الإمام

قال الملا علي القاري :" أي في أمره ونهيه ".

قال رسول الله ﷺ في عمار بن ياسر رضي الله عنه : " عمارٌ يدعوهُم إلى الله ويدعونَه إلى النارِ "، يعني : عمارٌ يدعوهم إلى طاعةِ الإمامِ وهذا ما أمَرَ به الله، ويدعونه إلى النار، أي : إلى معصيةِ الإمام، ومعصيةُ الإمام تؤدي إلى النار إن لم يكن الفاعلُ لذلك متأولاً ومجتهداً وأخطأ في هذا الاجتهادِ، كما ذكر ذلك العلماء .

قال الشيخ عيسى آل عوشن : " من عصى أميره فكأنما عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم، والسمع والطاعة هو من الاجتماع والتعاضد والقوة والتي يُضادها التنازع، والتفرق والاختلاف.

ويعتبر التنازع والاختلاف في الجهاد من أسباب الفشل والهزيمة {وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}.

والمتأمل للتأريخ والسيرة يرى أن لمعصية الأمير – مهما كانت المعصية – شؤماً وأثراً بالغاً، وخير شاهدٍ على ذلك ما وقعَ على الصحابةِ في أحد، حيث عصوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم، فوقعت المصيبة والنكسة على جيش المسلمين؛ من قتلٍ لخيار الصحابة، وإصابةٍ للنبي صلى الله عليه وسلم وجملة من أصحابه، وكلُّها بسبب المعصية.

وكم حصل من معصية الأمير في بعض أراضي وساحات الجهاد فكان ثمن ذلك مصائبُ وبلايا من دماءٍ ونفوس، فالمعصيةُ للأمير ليست ذنباً مجرداً يقتصر أثره على

العاصي نفسه، بل أثره على المجموعة بأكملها، ومصابه يحلُّ بالجيش كلِّه في الغالب.

فكمّ من أخٍ مجاهدٍ نهاه الأمير من الذهاب لمنطقة "ما" فعصى الأمير فكان ضريبة ذلك أن وقع في الأسر!!

وكم من أخٍ عصى التوجيهات التي رسمت له فما إن عصاها حتى حرم من الوصول لأرض الجهاد!!

وكم من أخٍ عصى الأمير في جانب الأمنيات والاحتياط الأمني، فتسبب ذلك بوقوعه ووقوع مجموعة من إخوانه في الأسر!!

ومن الوقائع اليسيرة التي تذكر في هذا الجانب ما حدثني به أحد الأخوة عن رجل رغب في اللحاق بمعسكرات التدريب في أفغانستان، وأعطاه – المسؤول عن خروجه – التعليمات بألاّ يتصل بأهله إلا إذا وصل إلى باكستان، فما كان من الأخ إلاّ أن عصى الأمر، واتصل على أهله من مطار بلده الذي هو فيها قبيل ركوب الطائرة، ومباشرةً بادر أهله بالكلام مع بعض المسؤولين في المطار، وتمكنوا من الإمساك به قبل أن تقلع لطائرة، فدفع ثمن المعصية بأن حُرِمَ من الإعدادِ والجهادِ في سبيل الله!!

والوقائع في ذلك كثيرةٌ ومتعددة، إلا أنني أحذر الأخوة المجاهدين الذين أبوا حياة الذّل، وتغلبوا على رغبات النفس وشهواتها، أن يُلجموا أنفسهم بلجام السمع والطاعة، لمن ولاه الله الأمر في كلِّ دقيقٍ وجليل، فالطاعة في كلِّ شيءٍ إلاّ في المعصية، ولو كان أمر الأمير في مسألة إجتهادية فيها قولان أو أكثر وكان الأمير مع أحد الأقوال راجحاً كان أو مرجوحاً، فإن الواجب الخضوع لاختياره وأمره، لأن المسألة اجتهادية ولا إنكار فيها.

وحذار حذار من التأويل، فإنه سببُ البلايا، وأساسُ النّكبات، وكل من عصى الأمر لو بحث لنفسه عن تأويل لوجد، فمن عصى الأمر في أحد تأول بأن المعركة قد انتهت و لا فائدة من وجودنا في جبل الرماة، وهكذا دواليك.. فلا تبحث عن تأويل عندما تهم بعصيان الأمر، ولكن ألزم نفسك باتباع الأمر وعدم تجاوزه.

وإن من المؤسف أن ترى أهل الباطل وجيوش الطاغوت لديهم من السمع والطاعة والانضباط النسبي ما لا يخفى وترى أحدهم يقدم على المعصية بل والكفر وإذا سئل عنه قال: "عبد مأمور"!!

وبالمقابل تجد أن هذا قد يتلاشى نوعاً ما، ويضعف عند المجاهدين والله المستعان..

ويجب عليك أخي الكريم أن تشدد في الإنكار على كل من يرتكب عصياناً للأمير، وأن تكون عوناً لأميرك وأخيك من وقوع معصية وخطأ يدفع ضريبتها الأمة والمجاهدون.

ولتعلم أيُّها المبارك أن السمع والطاعة هي من الذلة للمؤمنين، وخلافها يعني العزة على المؤمنين!! " أ هـ .

قال الشيخ عبد الله العدم : " عواقب وتبعات معصية الأمير: قصَّ علينا العلي القدير في كتابه الكريم، جانباً من تبعات معصية الأمير، وبيَّن سبحانه وتعالى ما حلَّ بعباده المؤمنين، عندما عصى بعضهم أوامر سيد البشرية صلى الله عليه وسلم، وكيف انقلب النصر الساحق إلى هزيمة بسبب معصية الرماة، وتركهم لمواقعهم التي أمرهم الرسول عليه الصلاة والسلام بلزومها، مهما كانت نتيجة المعركة: " لا تبرحوا مكانكم ! إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا لا تعينونا"، وهذا الذي كان إنما هو عاقبة معصية الرماة.

قال سبحانه وتعالى واصفاً ذلك في المعركة الخالدة " غزوة أحد " { وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ }.

وفيه دليل على أن النصر من الله في جهاد العدو مضمون باتباع أمره والاجتهاد في طاعته، وعلى هذا جرت عادة الله تعالى للمسلمين في نصرهم على أعدائهم.

وفي هذه الواقعة عبرةٌ وعظةٌ لكل مسلم من المخالفة والعصيان، حيث أن معصية الفرد الواحد قد تكون سبباً رئيساً في هزيمة المسلمين، وفي هذا المعنى يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح: وفيه شؤم ارتكاب النهي وأنه يعم ضرره من لم يقع منه، كما قال تعالى { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً }، وأن من آثر دنياه أضر بآخرته ولم تحصل له دنياه.

فإياك ثم إياك أيها النافر في سبيل الله، أن تكون شؤماً على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، أو على تلك الفئة التي تجاهد معها من كفر بالله، فإن معصية الإمام أو الأمير لا تأتي إلا بكل شر.

توقير الأمير إن من الأمور التي يجب أن يدركها أخو الجهاد، العازم على إعادة صرح الخلافة الراشدة، والذي ارتضى لنفسه أن يكون لبنة مباركة في بناء الجماعة المسلمة التي تعمل على إقامة المجتمع المسلم، أن الأمير هو ظل الله في الأرض، وأن إكرام الأمير وتوقيره وتبجيله والدعاء له بالخير، أمرٌ محمود بل جاءت الأحاديث النبوية تحث عليه و تأمر به.

روى الإمام أحمد وغيره عن معاذ بن جبل عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أنه قال: (خمس من فعل واحدة منهن كان ضامناً على الله عز وجل من عاد مريضاً أو

خرج مع جنازة أو خرج غازياً أو دخل على إمام يريد تعزيره وتوقيره أو قعد في بيته فسلم الناس منه وسلم من الناس).

وقال صلى الله عليه وسلم: (السلطان ظل الله في الأرض فمن أكرمه أكرم الله، ومن أهانه أهان الله).

وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي حسنه الألباني عن أبي بكرة: (من أكرم سلطان الله تبارك و تعالى في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة، و من أهان سلطان الله تبارك وتعالى في الدنيا أهانه الله يوم القيامة. وفي رواية للترمذي: من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله). وقال عنه حديث حسن غريب.

وقال صلى الله عليه وسلم: (من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط).

وإكرام الأمير وذي السلطان يكون بالدعاء له، وعدم التقدم بين يديه فيما يكره وخاصة بحضور العامة، وعدم رفع الصوت أثناء الحديث معه، ومناصحته سراً، وتحين ذلك في الوقت المناسب، وعدم الإنكار عليه علانية خشية خرق هيبته، قال شيخنا عطية الله: إلا لمقتضٍ خلافَ الأصل، يعني فيجوز النصح والإنكار عليه علانية إذا اقتضى الحالُ والمصلحة ذلك وقد فعله السلف من الصحابة ومَن بعدهم، ولذلك نقول: النصح للولاة سرّاً هو الأصلُ. اهـ

وإعانته على ما حمله الله من أمانة، وطاعته في غير المعصية، وتنبيهه في حال الشرود والغفلة، وسد خلته عند الهفوة والزلة، وجمع الكلمة عليه، ورد القلوب النافرة إليه، ودفعه عن الظلم بالتي هي أحسن، إلى غير ذلك مما يحمد فعله ويستحسن القيام به.

وإهانة ولي الأمر وانتقاصه قد تكون بأشكال متعددة منها: ذمه أمام الآخرين، وذكر عيوبه، ونشر زلاته، والاستخفاف به، والسخرية منه، وعدم طاعته فيما يأمر، وتنفير الناس منه، وعدم إعانته على ما ولاه الله من أمر المسلمين، والإنكار عليه علانية، إلى غير ذلك مما يستقبح فعله، ويزرى عمله.

وعليه فتوقير الأمير وإجلاله وإكباره، واجباً من واجبات المؤمنين، وسنة من سنن المسلمين، والالتزام به دليل صدق على محبة نصرة هذا الدين، وعدم تفرق كلمة المجاهدين، وجديرٌ بكل نافرٍ في سبيل الله أن يعي ما ذكرناه، حتى لا يكون من حيث لا يحتسب سبباً في معصية الرعية لأميرها، مما يترتب على ذلك من المفاسد ما الله بها عليم.

ولا شك أن الإمام أو الولي أو السلطان الذي يجل ويوقر ويحترم إنما هو الإمام العدل العادل القائم بالقسط، أما إذا انحرف عن جادة الحق والصواب وجب نصحه والإنكار عليه وتقويمه بحسبه. (التذاكر الجياد).

****

وأفسد في الأرض

من الفساد في الجهاد :

1) ترك موالاة المؤمنين والدفاع عنهم.

{وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} [الأنفال: 73]

قال الرازي في تفسيره : " وبيان هذه الفتنة والفساد من وجوه : الأول : أن المسلمين لو اختلطوا بالكفار في زمان ضعف المسلمين وقلة عددهم ، وزمان قوة الكفار وكثرة عددهم ، فربما صارت تلك المخالطة سبباً لالتحاق المسلم بالكفار . الثاني : أن المسلمين لو كانوا متفرقين لم يظهر منهم جمع عظيم ، فيصير ذلك سبباً لجراءة الكفار عليهم . الثالث : أنه إذا كان جمع المسلمين كل يوم في الزيادة في العدة والعدة ، صار ذلك سبباً لمزيد رغبتهم فيما هم فيه ورغبة المخالف في الالتحاق بهم" أ هـ .

2) الإسراف في القتل بغير حق.

كما قال تعالى {وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ} [الأعراف: 127] .

وقال تعالى {قَالُوا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا} [الكهف: 94]. وقال تعالى {وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ} [النمل: 48] وقوله

تعالى {وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسادَ (12)} [الفجر].

وقال سبحانه تعالى { مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَتَبْنا عَلى بَنِي إسرائيل أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً } [المائدة: 32] .

ـ من التجاوز في القتل، قتل غير المقاتلين.

قال تعالى {وَقاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [البقرة: 190] .

منهم النساء والصبيان لا يقتلون.

في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (إن امرأة وُجِدت في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم مقتولة، فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان) متفق عليه.

قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه على مسلم عند الكلام على حديث ابن عمر: (أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث وتحريم قتل النساء والصبيان ما لم يقاتلوا، فإن قاتلوا قال جماهير العلماء يقتلون).

يستثنى من هذا التبيت عليهم ففي حديث الصعب بن جثامة ﷺ أنه قال : مرّ بي النبي صلى الله عليه وسلم بالأبواء أو بودّان، وسئل عن أهل الدار يبيتون من المشاركين فيصاب من نسائهم وذراريهم، قال: (هم منهم) متفق عليه.

كذلك الرهبان والشيوخ الزمنى والاجراء.

في حديث أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (انطلقوا باسم الله، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً، صغيراً ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا) (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) رواه أبو داود.

ووصية أبي بكر رضي الله عنه لأمير له: (لا تقتلن امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرماً، إنك ستمر على قوم قد حبسوا أنفسهم في الصوامع، زعموا لله، فدعهم وما حبسوا أنفسهم له ...).

قال الباجي المالكي في شرح وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهم : (يريد الشيخ الهرم الذي بلغ من السن ما لا يطيق القتال، ولا ينتفع به في رأي، ولا مدافعة، فهذا مذهب جمهور الفقهاء أن لا يقتل، وبه قال أبو حنيفة، ومالك، وللشافعي قولان: احدهما مثل قول الجماعة ، والثاني يقتل ، والدليل لما نقوله، قول أبي بكر رضي الله عنه ولا مخالف له فثبت أنه إجماع).

وقال ابن قدامة رحمه الله في المغني : "ولو وقفت امرأة في صف الكفار أو على حصنهم فشتمت المسلمين أو تكشفت لهم جاز رميها قصدا... وكذلك يجوز رميها إذا كانت تلتقط لهم السهام أو تسقيهم الماء أو تحرضهم على القتال، لأنها في حكم المقاتل، وهكذا الحكم في الصبي والشيخ وسائر من منع من قتله منهم كذلك منهم الأجير .

عن رباح بن ربيع قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في غزوة فرأى الناس مجتمعين على شيء فبعث رجلا فقال انظر علام اجتمع هؤلاء فجاء فقال على امرأة قتيل فقال ما كانت هذه لتقاتل قال وعلى المقدمة خالد ابن الوليد فبعث رجلا فقال قل لخالد لا يقتلن امرأة ولا عسيفا " رواه أبو دواد وصححه الألباني.

والعسيف : هو الأجير وزنا ومعنى.

كذلك منهم الفلاحين والتجار.

جاء في كتاب عمر (اتقوا الله في الفلاحين فلا تقتلوهم الا أن ينصبوا لكم الحرب) رواه البيهقي.

أما التجار فقد روى البيهقي (أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقتلون تجار المشركين).

3) إهلاك الأموال وإتلافها وسرقة مال المجاهدين.

قال تعالى { وَإِذا تَوَلَّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ } وقال تعالى عن إخوة يوسف : {قالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ ماذا تَفْقِدُونَ ، قالُوا نَفْقِدُ صُواعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ، قالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَما كُنَّا سارِقِينَ} وقال تعالى عن ملكة سبأ : {قالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً وَكَذلِكَ يَفْعَلُونَ}.

4) الاختلاف والفرقة.

(عن أبي الدّرداءِ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: " ألا أخبركم بأفضل من درجة الصّيام والصّلاة والصّدقة» قالوا: بلى. قال: «صلاح ذات البين فإنّ فساد ذات البين؛ هي الحالقة" رواه الترمذي وصححه الألباني.

5) تتبع العورات والتجسس.

عن أبي أمامة عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «إنّ الأمير إذا ابتغى الرّيبة في النّاس أفسدهم " رواه أبو داود وصححه الألباني.

قال المناوي رحمه الله في فيض القدير : " أي طلب الريبة أي التهمة في الناس، بنية فضائحهم أفسدهم وما أمهلهم وجاهرهم بسوء الظن فيها، فيؤديهم ذلك إلى ارتكاب ما ظن بهم ورموا به ففسدوا، ومقصود الحديث حث الإمام على التغافل وعدم تتبع العورات فإن بذلك يقوم النظام ويحصل الانتظام والإنسان قل ما يسلم من عيبه فلو عاملهم بكل ما قالوه أو فعلوه اشتدت عليهم الأوجاع واتسع المجال بل يستر عيوبهم ويتغافل ويصفح ولا يتبع عوراتهم ولا يتجسس عليهم وعن ابن مسعود أنه قيل له هذا فلان تقطر لحيته خمراً فقال إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن ظهر لنا شيء نأخذ به " أ هـ .

من اجتناب الفساد المتعلق بالجهاد، اجتناب الظن السيء الذي يقود إلى التجسس لقول الرسول صلى الله عليه وسلم الذي في الصحيحين (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا).

قال القرطبي بعد ذلك: "قال علماؤنا: فالظن هنا وفي الآية هو التُّهمة. ومحل التحذير والنهي إنما هو تُهمة لا سبب لها يوجبها، كما يتهم بالفاحشة أو بشرب الخمر مثلاً ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك ...والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها، أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراماً واجب الاجتناب".

6) الحرص على الإمارة والشرف والمال.

قال الله تعالى { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص: 83].

عن كعب بن مالك الأنصاريّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: " ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشّرف لدينه " رواه الترمذي وصححه الألباني.

عن أبي المنهال قال: " لما كان ابن زياد ومروان بالشّام وثب ابن الزّبير بمكّة، ووثب القرّاء بالبصرة، فانطلقت مع أبي إلى أبي برزة الأسلميّ حتّى دخلنا عليه في داره وهو جالس في ظلّ علّيّة له من قصب فجلسنا إليه، فأنشأ أبي يستطعمه الحديث فقال: يا أبا برزة ألا ترى ما وقع فيه النّاس؟ فأوّل شيء سمعته تكلّم به: إنّي احتسبت عند الله أنّي أصبحت ساخطا على أحياء قريش، إنّكم يا معشر العرب، كنتم على الحال الّذي علمتم من الذّلّة والقلّة والضّلالة، وإنّ الله أنقذكم بالإسلام وبمحمّد صلّى الله عليه وسلّم حتّى بلغ بكم ما ترون، وهذه الدّنيا الّتي أفسدت بينكم. إنّ ذاك الّذي بالشّام والله إن يقاتل إلّا على دنيا، وإنّ هؤلاء الّذين بين أظهركم والله إن يقاتلون إلّا على دنيا، وإنّ ذاك الّذي بمكّة والله إن يقاتل إلّا على الدّنيا .

وقال القرطبي : " وأما في زماننا هذا فقد قيَّد الطمع ألسن العلماء فسكتوا إذْ لم تساعد أقوالهم أفعالهم، ولو صدقوا الله لكان خيراً لهم، فإذا نظرنا إلى فساد الرعية وجدنا سببه فساد الملوك، وإذا نظرنا إلى فساد الملوك وجدنا سببه فساد العلماء والصالحين، وإذا نظرنا إلى فساد العلماء والصالحين وجدنا سببه ما استولى عليهم من حب المال والجاه وانتشار الصَّيت ونفاذ الكلمة ومداهنة المخلوقين وفساد النيات والأقوال والأفعال " أ هـ.

7) الجبن والبخل.

ما في القرآن من الحض على الجهاد والترغيب فيه وذم الناكلين عنه والتاركين له كله ذم للجبن، ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم

بين الله سبحانه أنه من تولى عنه بترك الجهاد بنفسه أبدل الله به من يقوم بذلك ومن تولى عنه بإنفاق ماله أبدل الله به من يقوم بذلك فقال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38) إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39)}[التوبة].

وقال تعالى { هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم} [محمّد: 38].

وبالشجاعة والكرم في سبيل الله فضل الله السابقين فقال { لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}[الحديد: 10].

وقد ذكر الجهاد بالنفس والمال في سبيله ومدحه في غير آية من كتابه وذلك هو الشجاعة والسماحة في طاعته سبحانه وطاعة رسوله وملاك الشجاعة الصبر الذي يتضمن قوة القلب وثباته ".

8) فساد الأمراء.

روى الإمام البخاري في صحيحه؛ "أنَّ امرأة من حمس سألت أبا بكر الصدّيق فقالت؛ ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح – أي الإسلام – الذي جاء الله به بعد الجاهليّة؟ قال؛ بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمّتكم. قالت؛ وما الأئمّة؟ قال؛ أمَا كان لقومك رؤوس وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم؟ قالت؛ بلى. قال؛ فهم أولئك النّاس".

فصلاح الأمراء بقيامهم على أمر الإسلام، وتطبيقهم شريعة الرحمن، ونشرهم العدل في الأحكام، وفسادهم بتركهم دين الله تعالى، وبعدم إقامته في النّاس، وقد علّق أبو بكر رضي الله تعالى عنه؛ فساد النّاس بفساد الأئمة، "ما استقامت بكم أئمّتكم".

قال الحافظ بن حجر رحمه الله في "فتح الباري" في شرحه لهذا الحديث؛ "لأنّ النّاس على دين ملوكهم، فمن حاد من الأئمّة عن الحال، مال وأمال".

9) من الفساد ترك الجهاد.

قال ابن قدامة: " ولأن ترك الجهاد مع الفاجر يفضي إلى قطع الجهاد، وظهور الكفار على المسلمين واستئصالهم ، وظهور كلمة الكفر ، وفيه فساد عظيم ".

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ}: (أي لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء، لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما بنيته أرباب الديانات من مواضع العبادات، ولكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة. فالجهاد أمر متقدم في الأمم، وبه صلحت الشرائع واجتمعت المتعبدات... لولا القتال والجهاد لتغلب على الحق في كل أمة. فمن استبشع من النصارى والصابئين الجهاد، فهو مناقض لمذهبه، إذ لولا القتال لما بقي الدين الذي يذب عنه).

ويقول الشهيد سيد قطب: "فالباطل متبجح لا يكف ولا يقف عن العدوان إلا أن يُدفع بمثل القوة التي يصول بها ويجول، ولا يكفي الحق أنه الحق ليقف عدوان الباطل عليه، بل لا بد من القوة؛ تحميه وتدفع عنه، وهي قاعدة كلية لا تتبدل ما دام الإنسان هو الإنسان! ولا بد من وقفة أمام هذه النصوص القليلة الكلمات العميقة الدلالة، وما وراءها من أسرار في عالم النفس وعالم الحياة".

10) المثلة بالعدو.

وفي صحيح مسلم من حديث بريدة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يوصي قادة جيوشه وسراياه بقوله (اغزوا باسم الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ، ولا تغلوا ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ..) .

أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فاحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته).

قال الحافظ ابن رجب في شرح الأربعين النووية- المسمى بجامع العلوم والحكم-: (والإحسان في قتل ما يجوز قتله من الناس والدواب إزهاق نفسه على أسرع الوجوه وأسهلها وأرجاها من غير زيادة في التعذيب، فإنه إيلام لا حاجة إليه، وهذا النوع هو الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث...).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "إن المثلة حق لهم، فلهم فعلها للاستيفاء وأخذ الثأر، ولهم تركها، والصبر أفضل، وهذا حيث لا يكون في التمثيل بهم زيادة في الجهاد، ولا يكون نكالا لهم عن نظيرها، فأما إذا كان في التمثيل الشائع دعاء لهم إلى الإيمان أو زجر لهم عن العدوان، فإنه هنا من باب إقامة الحدود والجهاد المشروع" (نقله ابن مفلح عنه في الفروع).

يجب على العلماء والدعاة نهي الناس عن الإفساد في الأرض:

قال الله تعالى ذكره { فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ } [هود: 116]، ومن هؤلاء البقية المصلحة أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام ، فهذا نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام

يقول لقومه {فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ }[الأعراف: 74]، وقام النبيّ شعيب عليه الصلاة والسلام بمثل ذلك إذ قال لقومه { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [الأعراف: 85]. وتبع أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام على هذا المنهج أتباعهم المصلحون، فقد قصّ الله – سبحانه وتعالى – علينا إنكار قوم قارون عليه حين بغى عليهم { إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ}{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } [القصص: 77].

هناك من يدعي الصلاح والإصلاح وهو من أهل الفساد .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى لنا أن فرعون لعنه الله تعالى قد اتهم كليم الله موسى عليه الصلاة والسلام بالإفساد؛ قال الله تعالى { وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ } [غافر: 26]، وسانده ووافقه وتواصى معه بالباطل ملؤه، قال الله تعالى ذكره { وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ }[الأعراف: 127] .

كما أن القرآن المبين فضح المنافقين حين ادعوا الإصلاح ، وهم ليسوا من أهله، بل هم المفسدون الحقيقيون؛ يقول الله القوي سبحانه عن المنافقين { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ } [البقرة: 11] { أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ } [البقرة: 12].

******

فإنه لن يرجع بالكفاف

قال الملا علي القاري في المرقاة : "بفتح الكاف وفي نسخة بكسرها ففي القاموس كفاف الشيء كسحاب مثلثة ومن الرزق ما كف عن الناس وكفاف الشيء بالكسر خياره وفي النهاية الكفاف الذي لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة إليه قال القاضي أي لم يرجع بالثواب مأخوذ من كفاف الشيء وهو خياره أو من الرزق أي لم يرجع بخير أو بثواب يغنيه يوم القيامة فقوله الأول يشير إلى أن الكفاف بالكسر والثاني إلى أنه بالفتح وقال المظهر أي لم يعد من الغزو رأسا برأس بحيث لا يكون له أجر ولا عليه وزر بل وزره أكثر لأنه لم يغز لله وأفسد في الأرض يقال دعني كفافا أي تكف عني وأكف عنك اه ويدل على أنه اقتصر على كسر الكاف وأراد به المصدر من باب المفاعلة قال الطيبي الوجه ما قاله القاضي لأن الكفاف على هذا المعنى يقتضي أن يكون له ثواب أيضا وإثم ويزيد اثمه على ثوابه كما قال عمر رضي الله عنه وددت أني سلمت من الخلافة كفافا لا علي ولا لي " أ هـ.

انتهى ما تيسر جمعه في شرح هذا الحديث العظيم وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.